

رسالة

تصدرها

جمعية الدراسات القبطية

نيوجرزي - أمريكا

<http://home.ptd.net/~yanney/resalah.html>

العدد العاشر: أكتوبر ٢٠٠٣

السنة الثانية والعشرون



الكنيسة الحاضرة على ضوء تقاليد الكنيسة

الأكليروس والعلمانيون في الكنيسة الواحدة

دكتور رودلف ينی

إلى الذين قسموا جسد المسيح الواحد إلى أعضاء مقدسة وأعضاء نجسة، وإلى كل عضو في الكنيسة رجالاً أو امرأة أثر السلبية والتختلف عوض الاستجابة إلى دعوة المسيح ليكون تمثيلاً له يحمل صلبيه كل يوم ويتبعه.

الأكليروس والعلماني في الكتاب المقدس:

ومن البديهي أن نبدأ بحثنا عن التقاليد في الكتاب المقدس، فهو أول مصادر التقاليد، كما أنه السند الرئيسي لكل مصدر آخر. ما هو وضع ومسؤولية كل من الأكليروس والعلماني في الكنيسة حسب تعليم الكتاب المقدس؟

كلمة علماني لم ترد إطلاقاً في الكتاب المقدس بعهديه. في العهد الجديد أطلق على المؤمنين أسماء عديدة تلاميذ، وقديسين ومبنيين... ولم يُطلق عليهم اسم علمانيين قط.

أما كلمة أكليروس فقد وردت في العهد الجديد ١٣ مرة، ترجمت فيها إلى كلمة "قرعة"، (نحو ٩ مرات أغلبها متعلق بالقرعة التي أقيمت على ثياب المسيح). وكلمة "تصيب" (٣ مرات في آع ١٧:١، أف ١١:١، بط ٣:٥)، وكلمة "ميراث" في آية واحدة هي (عب ٤:١).

الخلاصة أن كلمة أكليروس هي الأخرى لم تأتى في الكتاب المقدس بالمعنى الذي نعرفه الآن. أما قادة الكنيسة الذين كانوا يرسمون بوضع اليد فقد أطلق عليهم اسم الأساقفة والقسوس والشمامسة. وبالنسبة للخدمة في الكنيسة كلها فقد كان هناك - بجانب هؤلاء - الأنبياء (رجال وسيدات)، والمعلمين، وأصحاب

هذا تياران متعارضان كل منهما يحاول أن يتم الآخر بمحاولة سلب حقوقه بهدف السيطرة على "الكنيسة" وقد أطلق على هذين التيارين "الأكليروس" و"العلمانيين".

ولما كانت "الرسالة" هي "صوت الشعب القبطي الصارخ من أجل الكنيسة وتقلیدها" لذا رأينا أن نرجع إلى تقاليدنا الكنسية في القرون الأولى - كيف عاشت الكنيسة وماذا يقول الإيمان الذي سلمته لنا بالدماء بخصوص هذين المعسكرين المتناقضين؟

وأحب أن أوضح حقائقين قبل أن أبدأ هذا البحث:
الأولى: إن هذا المقال عن تقاليد الكنيسة الأصلي، وله مراجعه العديدة، ولست أكتبه من وجهة نظر "العلمانيين" لأننا لا نؤمن بانقسام الكنيسة إلى أكليروس وعلمانيين.

الثانية: هذا المقال لا يتحدث عن "سر الكهنوت" الذي هو أحد أسرار الكنيسة السبعة، ورتبه ثلاثة (الأسقف والقس والشمامس) ثابتة من الكتاب المقدس وأقوال الآباء الأوليين وحياتهم - هذا السر المقدس ليس محل نقاش هنا ولا يختلف عليه مسيحي أرثوذكسي.

وكانت جميع أسرار الكنيسة في القرنين الثالث والرابع تتم في حضور الكنيسة كلها من معمودية إلى إعادة قبول التائبين (سر التوبة) وكانت الشركة في الأفخارستيا منذ القرن الأول الوضع الطبيعي لكل من يحضر القدس بلا استثناء. وكان اختيار الرعاة يتم بجماع الشعب كله. وعندما كانت تناقش أمور هامة (بما في ذلك الأمور اللاهوتية) في آية كنيسة محلية كان يُدعى إليها جمهور الشعب أو على الأقل ممثلي عنهم.

ازدياد سلطة الأكليروس في العصور الوسطى
منحت الدولة الرومانية المسيحية سلطات واسعة للأساقفة بينها القضاء، وأحياناً كان حاكم المنطقة هو نفسه الأسقف، فقد رأينا (في القرن السابع) عند احتلال العرب لأورشليم أن حاكمة هو الأسقف القديس سوفرونيوس. كما كان حاكم مصر هو أسقفها (الخلقوني) الذي عرفه العرب باسم "المقوف". وبمرور الزمن في الغرب حدث ما يسمى Clericalisation للكنيسة. فاقتصرت جميع الخدمات والتعليم الديني على الأكليروس، ودخلت الرهبنة ضمن الجهاز الكنسي. وبسبب كثرة تقل الأساقفة والكهنة من كنائسهم ضفت صانعهم بالشعب. وبسبب اعتبار الأكليروس أكثر قداسة من الشعب أصبحت البوليلية شرطاً لهم. أما الشعب فقد أصبح اشتراكه في القدس اسمياً بعد أن صارت صلواته كلها سرية. وأقتصر تناول الناس على مرة واحدة في العام، ومن ثم المؤمنون من تناول الدم. كذلك مُنعوا من قراءة الكتاب المقدس. لقد ازدادت الهوة إتساعاً بين الأكليروس والعلمانيين إلى درجة عبر عنها أحد اللاهوتيين الغربيين بقوله: "إن الخدمة الوحيدة التي تبنت للعلمانيين هي تقدير تبرعاتهم". وللأسف تسببت بعض هذه المفاهيم إلى الكنائس الأرثوذكسية.

وقد اكتشفت الكنيسة الكاثوليكية مؤخراً أنها لا تستطيع أن تُهمل العلمانيين الذين يحتلون أكثر من ٩٩% من عدد الخدام من الكهنة والرهبان الكاثوليك، وإلى التغييرات الشاملة التي أحدها مجمع الفاتيكان الأخير (١٩٦٥ - ١٩٦٢) بالنسبة لدور العلمانيين في الكنيسة - كل هذا أدى إلى ظهور حركات روحية وجماعيات كثيرة بين العلمانيين، وتقوم الأجهزة الكنسية على جميع المستويات بتشجيعها.

القوى والمواهب والتي دعا الرسول جميع المؤمنين أن يستغلوها (أكو ١٢: ٣١-٣٨).

الأكليروس والعلماني في القرون الأولى:

إذا كان الكتاب المقدس لا يعرف هاتين الكلمتين إطلاقاً بالمعنى الذي نعرفه الآن، فلتى بدأ استخدامهما وبأى معنى؟ كلمة "علماني" لم ترد إطلاقاً في أي كتابة وصلتا من أي كاتب مسيحي خلال القرنين الأول و الثاني. في تلك الأجيال الأولى لم يكن هناك أى نزاع بين خدام المذبح (الأسقفي والقس والشمامس) وبين الشعب، كان كل المسيحيين يوصفون بأنهم قديسون ومحظوظون وهي التعبيرات التي استخدماها الكتاب المقدس ولم يشعر الخدام من الكهنة بما يهددهم من التعليم عن الكهنوت العام (ابط ٣: ٩) الذي كان يناله كل مؤمن بالمعمودية والميرون.

وعندما ظهرت كلمة "علماني" Laity في أوائل القرن الثالث كان لها معنى مختلف تماماً عن معناها الآن فقد اقتصر هذا اللقب فقط على "الرجال من المسيحيين الذين تتزوجوا مرات واحدة". ولم تستخدم الكلمة للنساء إلا ابتداء من القرن الرابع، وتدرجياً أخذت معناها الذي نعرفه الآن للتعبير عن جماعة المؤمنين (رجالاً ونساء) الذين لا يحملون إحدى الرتب الكهنوتية الثلاثة (وهؤلاء بدأ إطلاق لقب الأكليروس عليهم منذ ذلك الحين).

هذا وقد كان لجميع المؤمنين دور بارز في القرون الأولى وذلك في التعليم وفي القدس وسائر الأسرار. وكانتوا يشتغلون في المجامع ابتداء من مجمع أورشليم (أع ٢٢: ١٥) وسائر المجامع المسكونية، وحتى منتصف القرن الثالث كانت توجد وظيفة "المعلم" Didaskalos من غير الأكليروس، وكان القاري (الأغنسطس) يشرح الكتاب المقدس أثناء الليتورجيا.

ولكن ابتداء من القرن الرابع اقتصر التعليم الكنسي على الأكليروس. إلا أن هذا لم يمنع قيام العلمانيين بالتبشير (كما حدث من تبشير أثيوبيا بواسطة اثنين من العلمانيين أيام البابا أثناسيوس) وتعليم الأطفال في المنازل، وقيامهم بمجتمعات درس الكتاب الخاصة كما كان آباء الرهبنة وقادتها الأوائل من العلمانيين.

عودة إلى الكتاب المقدس

بينما هما أخوتي لأنك أنت أبونا في أمنا الكنيسة الجامعية. وسوف يكونان أيضاً رفقاء ومواطنين معى في أورشليم السماوية، التي ينوق إليها شعبك في غربته من ولادتهم حتى وصولهم إلى هناك..."

هذا يوضح القديس أغسطينوس وهو من أعظم اللاهوتيين في الكنيسة على مر العصور - بالفاظ ينتقها بدقة بالغة - وضع الأسقف في الكنيسة. فهو ليس رأساً لها بل إلينا، والمؤمنون كلهم وبدون استثناء رفاق وإخوة له، لأنهم جميعاً (أكليروس وعلمانيين) أبناء الله وخدام الله. أما شعوره الشخصي نحوهم فهم سادته، وعمله أن يخدمهم... هكذا تكون الكنيسة الواحدة ^(١)

ملاحظات:

(١) من الكتب الكثيرة التي بحثت هذا الموضوع بصورة أو في يستطيع القارئ أن يرجع إلى الكتب الثلاثة الآتية وقد عرضتهم

Coptic Church Review

1- The Emergence of the Laity in Early Church.
By Alexandre Faire (CCR, vol.11, No.3 Fall 1990).

2- On the Front Line. By Jordan Aumann. (CCR, vol.11, No.9 Fall 1990).

3- Ministry. By Kenan Osborne (CCR, vol.14, No. 4 Winter 1993).

لقد دار الغرب دورة كاملة ليعود أخيراً إلى تعليم الكتاب المقدس، إذ دعا رب الجميع أن يكونوا تلاميذه، فلم يقتصر على الآئذى عشر، بل كان له تلاميذ آخرون وتلميذات (لو ٣:١-٣)، وقبل صعوده أمر تلاميذه قائلة: "إذهبا وتعلموا جميع الأمم..." (مت ٢٨:١٩). وهذا بالفعل ما حدث حتى تكاثر التلاميذ" (أع ٦:١)، "وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا" (أع ٩:١٠)، "ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ" (أع ٩:٢٦)، "وكان في يافا تلميذة اسمها طبيثاً" (أع ٣٦:٩). فهي دعوة واحدة من رب الجميع _ أن يكونوا تلاميذًا له بصرف النظر عن وضعهم في الكنيسة - منهم الرسول، والأساقفة، الغنى والفقير، الرجل والمرأة. لم يفرق بين أكليروس وعلماني، فالحياة الروحية مع الله واحدة للجميع، والكل أعضاء في جسد واحد رأسه المسيح (أف ٥:٢٣، كو ١:١٨).

ورغم وحدة الجسد فكل عضو موهبة مختلفة وعمل مختلف، ومسؤولية كل عضو أن يستثمر موهبته لبنيان الجسد - لا أن يطغى على أعمال الأعضاء الأخرى. والأعضاء الضعيفة والمريضة علينا أن نساعدها. والأعضاء القوية يلزم أن نكرّها. أما الأعضاء المحترفة في الكنيسة فمركزها هو في مكان القضاة تحكم علينا وتديننا (أك ٤:٦، ١٢:١٢، ٣١). هذه هي كنيسة المسيح كما وصفها القديس بولس. والقديس أغسطينوس يصف لنا وضعه في هذه الكنيسة كأسقف مدينة "هيبو" في القرن الخامس (ويعتبره العلماء والمؤرخين من أهم آباء الكنيسة في هذا القرن). ويقول في ختام الجزء التاسع من كتاب اعترافاته بعد أن أورد لنا قصة حياة أمه القديسة مونيكا وموتها.

"أيها رب إلهي. ألم خدامك، أخوتي، أبناءك، سادتي الذين أخدمهم بصوتي وقلبي وقلمي، حتى أن الكثرين الذين سوف يقرأون هذه الاعترافات يذكرون أمام مذبحك، خادمك مونيكا، مع باتريشيوس زوجها، اللذين عن طريق جسدهما أوجدتك في هذه الحياة بوسيلة لا أدركها. اسمح أن يذكروا في عاطفة صادقة أولئك الذين كانوا والدى بالجسد في هذه الحياة الفانية،

الشركة بين الأكليروس والشعب في تبادل الرأى واتخاذ القرارات

للقديس يوحنا ذهبي الفم

هكذا يقول الكاهن، ويرد الشعب من ورائه "مستحق
ومستوجب"، ثم تبدأ صلوات الأفخارستيا.

المبدأ الرسولي في مشاركة الشعب مع الأكليروس:
إني أقول كل هذا ليكون كل مؤمن واعياً أننا كلنا جسد
واحد وأن اختلافنا بعضنا عن البعض هو فقط كاختلاف العضو
في الجسد عن العضو الآخر.

لذلك لا ينبغي أن نلقى بكل العبء على كاهل الكاهن، بل
لننظر إلى أنفسنا كأعضاء في جسد مشترك هو الكنيسة كلها.
أنظر كيف كان الرسل يشرون المؤمنين في قرارتهم.
فحينما أقاموا السبعة الشمامسة استشاروا الشعب أولاً (أع 1:
6-6). وحينما اختاروا متياس الرسول (بدلاً من يهودا)
استشاروا كل الذين كانوا حاضرين، الرجال منهم والنساء (أع
1: 26-22:1).

فهنا لا نجد حكاماً مغوررين ولا شعباً خائعاً، بل رئيساً
روحياً يسعى إلى خير الجماعة، الأمر الذي يتطلب العمل
الشاق، لا البحث عن الكرامات. الكنيسة يجب أن تحيا كأسرة
واحدة، وكل يجب أن يتصرف كجسد واحد، كما أنه توجد
معمودية واحدة ومذبح واحد وجرن واحد وخليقة واحدة وآب واحد.

لماذا نحن منقسمون؟

لماذا إذن نحن منقسمون إن كان هناك الكثير الذي يوحّدنا؟
لماذا نحن نتفرق؟ إننا ننوح ونبكي على نفس الأمور. إن حالنا
قد أصبح محزناً. إننا منقسمون الواحد على الآخر، بينما كان
ينبغى أن نحيا في وحدة الجسد الواحد.

لابد أن يكون الأكبر قادرًا على الانتفاع من الأصغر.
إن كان موسى قد تعلم من حميء شيئاً نافعاً لم يكن هو
يعرفه من قبل فكم وكم ينبغي أن يكون هذا في الكنيسة؟ ولماذا

إن صلاة الكنائس هي التي حررت بطرس من الأغلال (أع
12: 5-17)، وهي التي فتحت فم بولس ليكرز بكلمة الله
(كولوسي 4: 3).

وأصوات الكنائس هي التي انتخبت الرجال المكرسين
للوظائف الروحية، وليس بأية طريقة عشوائية (أع 5: 6).
ولذلك فإن الذي كان يعزم أن يرسم أحداً للكهنوت، كان يطلب
صلوات المؤمنين، وأصواتهم هي التي كانت تعطى الموافقة
بمنادتهم للمنتخب: أكسيوس، مستحق.

وفي هذه المناسبات التالية يبدو الكاهن لا يفترق في شيء
عن رعيته:

فمثلاً عند التقدم للتداول من الأسرار المقدسة، فإننا جميعاً
نُحسب أهلاً للتداول معاً. فالذى يوضع على المذبح هو جسد
المسيح الواحد المبذول عن الجميع، وكذلك الكأس الواحد.
وبعكس ما كان يجرى في العهد القديم حين كان الكاهن يأكل
من الذبيحة أجزاء لا يأكل منها الشعب، فإن في العهد الجديد
الكافن والشعب يأكلون من نفس الجسد الواحد ويشربون من
نفس الكأس الواحدة.

وفي الصلوات أيضاً نرى كيف أن الشعب يشترك في أدائها
مع الكاهن. ففي الصلوات التي تقام على الممسوسين بالأرواح
وعلى التائبين، تُرفع الصلوات مشتركة بين الكاهن والشعب،
والكل يتلون نفس الصلاة الواحدة الخاشعة. وبعد أن يختار
الكافن قربانة الحمل من بين القرابين تُتلّى صلاة رفع القربان
ثم نسجد جميعاً ثم نقف جميعاً معاً وحينما نتبادل قبلة السلام
فجميعنا نتبادلها. وفي أثناء التقديس يصلى الكاهن من أجل
الشعب ويصلى الشعب من أجل الكاهن ويطلب الآثار السلام
بعضهما البعض "سلام لجميعكم، ولروحكم أيضاً".

أما صلاة الأفخارستيا فيؤديها الجميع، فليس الكاهن وحده
الذي يقدم الشكر بل معه الشعب كله بقوله: "فلنشرك الرب".

فياليتا لا نهمل الذين يقدمون لنا النصيحة النافعة حتى وإن أنت من العلمانيين أو من أي شخص أقل منزلة. كما لا ينبغي لأن نجعل ما نقترحه نحن هو الذي يسود ويفرض.

هذه العطة مأخوذة من مجلة مدارس الأحد (عدد أكتوبر ١٩٩٥) وهي مترجمة من مجموعات الآباء: N&PN Fathers 1st series. vol. xvii. P 365 - 367 (on 2 Cor)

أدرك غير المؤمن (يتركون حمو موسى الذي كان وشياً) شيئاً لم يكن يدركه الإنسان الروحي (موسى)? ذلك لكي يفهم كل الشعب أن موسى إنسان بشري..

والآن، إذا لم يجد واحد من الجماعة ما هو نافع فليقف الآخر ويتكلم بما هو نافع فإن كان هذا الآخر أقل منزلة لكنه قدم المساعدة النافعة فلنافق على رأيه. ولكن لا تحقره لأنه أقل منزلة..

البابا كيرلس السادس البطريرك والمتوحد

بقلم الدكتور جون واطسون

وقد عملوا بنشاط كبير، كما حضر ممثلو عن كنيسة الأقباط الكاثوليك حتى الانجليكان الذين تحيط بهم الشكوك بسبب علاقتهم الواضحة بالبريطانيين دعموا المؤتمر بحماس، وكان هذا قبل سنوات من اجتماع مجلس الكنائس العالمي في أمستردام (١٩٤٨) وقبل عقدين من اجتماع مجمع الفاتيكان الثاني. رغم فشل الدعوة لوحدة مسيحية إلا أنها خطوة شجاعه، لأنه كان من السخف في نظر الأب سرجيوس - كما بالنسبة لكثيرين - أن المسيحيين الذين يرغبون في أن يجددوا ذواتهم على أساس اختلافاتهم اللاهوتية، يواجهون اللاهوت الإسلامي الواضح، والوحدة المشتركة لإسلام قوى إذ تضممه دولة مدنية. وكان رهن الاعتقال بمنزله (تحديد إقامته) من عام ١٩٥٦ فصاعداً في إجراء تأمّل بين الحكومة والدولة، ووقع عليه الحرم ثانية. وفي عام ١٩٦٤ توفي الأنبا يوساب. وفي لفته مثالية رفع البابا كيرلس فرارات الحرم التي صدرت ضد سرجيوس. واحتشدت الآلاف في الكاتدرائية المرقسية وفاءً للمصلح القبطي الكبير. ومن المستبعد أن يكون موقف البابا كيرلس موقف الذي استسلم لاحتجاجات الجماهير، بل المحتمل أنه كان يعبر عن تعاطفه مع الأقباط أصحاب الفكر المستقل الذين كانوا أكثر قرباً إلى أهدافه من العديد من الأساقفة الذين اشتروا الأسفافية خلال حبرية البابا يوساب الثاني، نفس البطريرك الذي جرد وحرم القمص سرجيوس. لقد دفن أبونا سرجيوس ملطي بالطقوس والاحترام اللائقين بالكافن.

الفصل السادس - ٢

البابا كيرلس والقمح سرجيوس

وكان البابا كيرلس يقطن لأولئك الأقباط الذين تجاوزوا الخط الفاصل بين الإسلام والمسيحية، وبين الكنيسة والدولة. لقد كان ينظر إليهم بعين العطف أكثر من نظرة معظم الأساقفة المحافظين جداً وكأنوا أيضاً أثرياء للغاية. وأبونا سرجيوس ملطي (١٨٨٣-١٩٦٤) كان أعظم الوطنين الأقباط وهو الذي أعاد منبر الأزهر معقل السنّيين المتمسّكين، وألقى تسعاء وخمسين خطبة عن الحرية إلى إخوته المسلمين. وقد جذب هذا الكاهن الثوري اللامع انتباهاً كبيراً في الغرب. لقد كان أول شخص من غير المسلمين يتقدّم إلى منبر الجامع الكبير. وقد نُفِ إلى سيناء نتيجة لخطبه في الأزهر وفي جامع بن طولون. ولم يكن البريطانيون وحدهم هم خصومه، فقد ناضل نضالاً بلا حدود من أجل إصلاح الكنيسة وكان جزءاً ذلك أن عاقبه المجمع المقدس وحرمه. أما هو فرفض هذا الحكم وظل يعظ في الكنائس التي كان الناس يتراحمون داخلها لسماعه. كما كان يقيم الأسرار للألف. وقد استولت البطريركية بالقوة على كنيسته أو بالأصح أبراشه.

وبعد فترة من العمل السياسي عاد الأب سرجيوس نشيطاً للخدمة الكنسية سنة ١٩٤٤ عندما عين وكيلًا للبطريركية فدعي لعقد مؤتمر قومي للكنائس في مصر. وقد مثلت فيه الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية بقوة. كما اشترك الأرمن والبروتستانت